مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد11/ العدد: 01 (2023)، ص: 133-144

فرضية الأثير بين مثالية أفلاطون وواقعية أرسطو

The Ether hypothesis between Plato's idealism and Aristotle's realism

أسية عبلاش [1]، إشراف الأستاذة الدكتورة نصيرة جعيداني [2]
[1] جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،
assia.abalache.@univ-alger2.dz
[2]جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
nacera.djaidani.@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/12/26 تاريخ القبول: 2023/02/12 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

تعتبر فرضية الأثير الأرسطية واحد أهم الفرضيات التي أثارت جدلا واسعا في الأوساط العلمية، وبسطت سلطتها لمدة مئات من السنين، وكانت محل جذب ونفور بين العلماء الفيزيائيين، فمنهم من أخذها وجعلها أساسا لقناعاته العلمية ومنهم من نبذها وأنكر وجودها، في الوقت الذي كان ينظر إليه من قبل الفلاسفة اليونانيين على أنه عنصرا مهما يشارك في بنية الكون.

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن أفلاطون ربط مفهوم الأثير بصورة العالم الطبيعي، بالمقابل تناول أرسطو مفهوم الأثير من خلال مفهوم العالم، ولإنجاز هذا البحث، تم الاعتماد على جملة من الخطوات بهدف توضيح مشكلة البحث والإلمام بجوانبها، والوقوف على أهم المحطات التي تناولها كلا من الفيلسوفين.

كلمات مفتاحية: الأثير، الكون، العناصر الأربعة، العالم، الحركة.

Abstract:

The Aristotelian Ether hypothesis is considered one of the most important hypotheses that aroused widespread controversy in the scientific community, and extended its authority for hundreds of years. The Greek philosophers considered it an important element involved in the structure of the universe.

In this study we concluded that Plato linked the concept of Ether to the image of the natural world, in return Aristotle addressed the concept of Ether through the concept of the world. Familiarity with its aspects and standing on the most important points addressed by the pohilosophers and focusing on them.
Keywords: The Ether, The Universe, The four Elements, The world, The movement.

المؤلف المرسل: آسية عبلاش- الأستاذة نصيرة جعيداني

1. مقدمة

عرفت الحضارات القديمة الأثير كعنصر أساسي يدخل في بنية الكون، ومع تلاقح الحركات الفكرية للأمم، انتقل هذا المفهوم إلى الحضارة اليونانية، ووفقا لأساطيرهم القديمة كما ورد، فالأثير ينظر إليه على أنه الجوهر الخالص الذي تنفسته الآلهة، وملء الفراغ الذي يعيشون فيه، بل منهم من اعتبره كأحد أهم الآلهة البدائية، ومصدر إلهام للعديد من الشعراء، وقد تناوله هيزيود Hesiod (ما بين 750و650 ق.م، ؟)في عمله الشعبي فوصف فيه الأثير وأصله، ومن خلال هذا العمل، فالأثير يمثل إله النور، أما هوميروس فكلمة أثير تعني الهواء النقي الخالص.

اهتم كل من أفلاطون Platon (427-428 ق.م،348-347 ق.م) وأرسطو Aristote (384 ق.م- 322 ق.م) بفكرة الأثير، ووظفاه في أبحاثهما، وبالرغم من أن أفلاطون تبنى النظام التقليدي الذي يقر بوجود أربعة عناصر، إلا أنه لم ينكر الأثير، وهذا ما إلتمسناه في **محاورة طيماوس** والتي خصصها لدراسة العالم

الطبيعي، أما أرسطو فقد تناول الأثير في كتابه **في السماوات** واعتبره عنصرا جديدا يضاف إلى نظام العناصر الكلاسيكية، لذا جعل من عالم ما تحت فلك القمر مستقرا للعناصر الأرضية أربعة، وهو عالم الفساد والتغير تتحرك فيه الأشياء بشكل طبيعي في حركة مستقيمة، أما العنصر الأول – الأثير- فمكانه فلك ما فوق القمر وهو عالم أزلي لا يخضع للكون والفساد، ويتحرك بشكل دائري، ومنه تشكلت الأجرام السماوية.

وفي العلم الحديث ينظر إلى الأثير على أنه المادة التي تملأ الكون وتم إقحامه في العديد من النظريات العلمية بغرض تفسير الظواهر الطبيعية، فاعتبره الفيزيائيون وسيطًا ملائما يمكن للضوء أن ينتقل عبره في فراغ، ومازالت هذه الفرضية تثير العديد من التساؤلات حول جدواها في الفيزياء المعاصرة، وكلما حاول العلماء استبعادها من الوسط العلمي، إلا وعاد ليفرض نفسه تحت مسمى جديد، ومن هنا يحق لنا التساؤل، **كيف وظف كل من أفلاطون وأرسطو فرضية الأثير؟**

ولتحليل هذه الإشكالية، اعتمدنا على ثلاث فرضيات، وهي كما يلي:

- الأثير كمفهوم قديم، نشأ مع الحضارات القديمة، وكل حضارة تناولته حسب اعتقادها، بالرغم من اختلاف المسميات إلى أن هناك شبه اتفاق على أنه عنصر مهم يدخل في بنية الكون، ويمثل أحد عناصرها الأساسية.
- أهمية علم الطبيعة بين أرسطو وأستاذه أفلاطون ونظرتهما للكون سواء كان العالم العلوي أو العالم السفلي، ومنها طبيعة الأثير عند كل منهما.
- الحجج التي اعتمدها الفيلسوفين في أثبات وجود الأثير..

ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى إبراز الأصول الأولى لمفهوم الأثير، والوقوف على أهم نقاط التوافق والاختلاف في أعمال الفيلسوفين والتي تناولت الأثير، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من الإجراءات المنهجية بما يخدم طبيعة الموضوع نفسه، حيث استخدمنا المنهج التحليلي الذي يقوم على

تفكيك البنية الفكرية للحضارات السابقة، إضافة إلى منهج المقارنة الذي يتناسب مع النصوص الأفلاطونية والأرسطية .

2.الأثير في الحضارات الشرقية القديمة:

عرفت الحضارات القديمة الأثير وفسرت به العالم اللامادي، فكانت البداية حينما تأمل السماريون في طبيعة الكون، وأصله ونظامه وما يجري فيه، وما وصلنا من الفلسفة السومرية كان في الإلهيات وفلسفة الكائنات وأصل الكون، لذا لابد من العودة إلى القطع الأدبية السومرية، خاصة الأساطير وقصص الملاحم والتراتيل الدينية (كريمر، د.ت، الصفحات 151-152).

وقد خلقت أفكارهم الدينية ومفاهيمهم الروحية أثرا في الفكر العالمي، حينما وضع الحكماء كنتيجة لتأملاتهم في أصل الكون طريقة لعمله، فكان علما لاهوتيا فيه الكثير من الإقناع، لحد أنها أصبحت أساسا لكثير من أديان الشرق، وفي أنظار الحكماء السومريين كان المكونان الرئيسيان للكون بالمعنى الأضيق للكلمة، هما السماء والأرض. (الحسيني الحسيني، 2012، صفحة 7)

ميز السماريون عنصرا بين السماء والأرض وسموه **ليل**(LIL) ، وهذا الفضاء هو الفراغ الذي يفصل بين السماء والأرض، لكنه يمتلأ بمادة أسموها **ليل**، وهي كلمة تعني أقرب معانيها للأثير، وفي هذه المادة تسبح الكواكب والنجوم، واعتقدوا أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم، أنها مكونة من نفس مادة الجو، أما الكون يحيطه من جميع الجوانب **البحر اللامنتاهي** الذي يكون فيه الكون ثابتا وغير قابل للحركة (كريمر، د.ت، الصفحات 152 - 153) ـ ثم أنتجت لنا السماء والأرض العناصر المادية الأربعة التي تكوّن منها الكون، وهذه التركيبة الخلقية السومرية المبكرة يظهر الأسطقس الرباعي الذي عرفه اليونان بعد آلاف السنين وهو (التراب، النار، الهواء، الماء) (الماجدي، 1998، صفحة 88)،ولتشغيل هذا الكون افترض السماريون مجمع من الآلهة تسير على الكون وفق خطط محكمة وقوانين راسخة.. (الحسيني الحسيني، 2012، الصفحات 8-9)

كما عرف الهنود بدورهم الأثير، وتنقل لنا أحد كتبهم المقدسة حوار دار بين معلم وتلميذه يستفسر فيها عن عناصر الأجسام، حينها اقترب بهارجافا من المعلم وسأله: «**أيها المقدس، كم عدد القوى التي تمسك سويّا هذا الجسم؟ أية قوة منهن تظهر نفسها به جليا؟ وأية قوة نجدها في الصادرة؟ رد الحكيم: القوى هي الماء والهواء والنار والأثير والنار والتراب، هذه العناصر الخمسة معا يشكلون الجسم**» (زيان، 2008، الصفحات 65-66)، من خلال هذا الحوار يتبن لنا أن الأثير هو قوة من القوي التي تدخل في تكوين الجسم مثلها مثل باقي العناصر الأخرى، (صالح الفقيه، 2016، صفحة 41).

وهذا يعني أن الأثير كان مفهوما متداولا في الأساطير الهندية، وفي أحد نصوصهم الدينية نجد: هذه العبارات التالية: « **الشمس هي كون برانا، الأثير بين الشمس والأرض هو سامانا، ومن برانا خلقت الرغبة العارمة، ومن الرغبة العارمة خلقت: الماء والأثير والهواء والنار والحواس والإدراك والتغذية**، (زيان، 2008، صفحة 77) **منه ولد التنفس، وأعضاء الحواس والأثير والهواء والنار والهواء والتراب، وهو الذي يربط بينهم جميع** (زيان، 2008، صفحة 85) ، كما اعتقد الهنود أن البراهما غير مرئي مثل الأثير والذي يمثل الحقيقة، كما أنهم يعتقدون بأن البراهمن أتى من الأثير، من الأثير أتى الهواء، المواد الخمسة الأولى: الأرض والهواء والنار والماء والأثير، كل الكائنات صغيرة كانت أم كبيرة، (زيان، 2008، الصفحات 102-104)

نستنتج من هذه العبارات أن الأثير عند الهنود يحمل عدة أسماء منها البرانا و سامانا، وكذلك الأثير، ربما يعود هذا الاختلاف إلى تعدد الطوائف الدينية وتنوعها في الهند.

أما عناصر الكون فهي خمسة عند الهنادكة، وهي الفضاء -الأثير-الهواء، النار، الماء والتراب، وهم يرون أن العنصر الأول الأثير يملأ الفراغ ما بين السماء والأرض، (حقي، د.ت، صفحة 16) ، وتبين العبارات التالية مدلول الأثير: « **وقالوا عنه كذلك: هو بين السماء والأرض، وكان ويوجد وسيكون، منسوج في الأثير، سل جارجي، بأي شيء ينسج الأثير، وبم يلحم؟ يا جنافالكيا: آه جارجي، العرّافون يقولون: إنه أكشارا، الحقيقة التي لا تتغير، هو ليس بلفظ، ليس**

بالنور، ليس بالظلام، ليس من نوع الأثير والهواء، غير مرتبط ومتحد بشيء آه يا جارجي، أكشارا يقينا، منسوج في الأثير، بالسداة ملحوم» (زيان، 2008، الصفحات 190-195)، نستنتج من هذه العبارات أن الأثير مادة تملأ ما بين الأرض والسماء، ويأخذ الأثير هنا مفهوما جديدا وهو أكشارا،كما عرفه الصينيون وسموه بالطاو ، وعرفه المصريون وسموه **(سعحو) أو (خو)** وهما مدلولان يشيران إلى الطبيعة النورانية الشفافة للإنسان.

3. الكوسمولوجية بين أفلاطون وأرسطو :

قامت الكوسمولوجيا اليونانية سواء مع أفلاطون أو مع أرسطو على التفرقة بين عالم السماء والأرض، فجعلت كلا منهما يتركب من مادة مخالفة لما يتركب منه العالم الآخر، وبالتالي يختلفان في طبيعة الحركة وفي القوانين التي تحكمها (مذكور، 2016، الصفحات 27 - 39)، يميز أفلاطون بين نوعين من الوجود، بين ما هو دائم وبين ما هو مغير **«ولقد ميزنا المرئي والعقلي، وإن المرئي هو المتغير واللامتبدل غير منظور»** (أفلاطون، محاورات فيدون، 2001، صفحة 397)، فالذي يدرك بالعقل والاستنتاج المنطقي يكون في الحالة عينها على الدوام، أما الذي يتصور بالرأي ومساعدة الحواس وبدون استنتاج منطقي يكون في عملية الصيرورة والفناء (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 411).

إذن الوجود الحقيقي عند أفلاطون هو وجود الماهيات، فالعقل يدرك الأفكار الكلية والصور المفارقة وسائر الماهيات المعقولة، وهي سرمدية ثابتة لا يعريها تغير ولا ينالها فساد، مطلقة، متسقة فيما بينها، وتخضع للانسجام والتناغم والنظام ومعطياتها كلية، بينما عالم المحسوسات نسبية لأن الحس متغير، فهي تختلف حسب الظروف والأشخاص، متعارضة فيما بينها ومتنازع فيها وتخضع للاضطراب، كما أن معطياتها جزئية، ويسند أفلاطون سبب هذا الاختلاف بين العالمية إلى مصدره (المثل). (عبد الرحمان مرحبا، 2007، الصفحات 126 - 127)

أما أرسطو فيرى أن فلك القمر يقسم الوجود إلى قسمين متساويين ولا يتشابهان، والأول هو ما فوق فلك القمر (السماء) أرحب فضاء وهو لا متهناه، وهو

عالم الكمال لا كوّن فيه ولا فساد، والثاني ما دون فلك القمر، فهو الأرض التي نعيش عليها، وهي محدودة خاضعة للكون والفساد والتبدل وبالتالي النقص (فروخ، 1947، الصفحات 59 - 61)، حيث يقول أرسطو: «**أما بالنسبة لنا،فإننا نعني بالجزء العلوي، وهو أقصى الكون، النقطة التي هي بالفعل أعلى بكثير من موقعها، والتي تتميز بطبيعتها الأولى. وإن كان هناك طرفا ووسطا للسماء، فمن الواضح أنه سيكون هناك أيضًا ارتفاع وانخفاضا**» (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, p. 294)،

غير أن أفلاطون لم يكتف بالنوعين السابقين للوجود، الثابت والمتغير، لذا أضاف نوعًا ثالثًا وسماه الوعاء، حيث يقول: « **إننا وجدنا سابقا صنفين من التقسيم، ويجب أن نكشف النقاب عن نوع ثالث ، إن النوع الجديد من الوجود هو الوعاء» (** (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 389)، وهنا يشير أفلاطون إلى وجود قسم جديد يضاف إلى أقسام الوجود وسماه الوعاء، هنا كلا من الفيلسوفين اتفقا على تقسيم الوجود إلى قسمين متساويين (علوي وسفلي)، لكنهما اختلافا في التسمية.

1.3 العالم الطبيعي:

يرى أفلاطون أن جميع الأجسام موجودة في العقل مجردة من المادة وعوارضها، وهذا الجسم جزء من المادة يشارك في واحدة من تلك الموجودات المجردة، فيتشبه به، ويحصل على شيء من كماله، والمثال هو الموجود بذاته، والجسم شبح المثال، فحسب أفلاطون فهذا العالم هو عالم الخداع والنقص، والكائنات المحسوسة لا تنشأ إلا عن مشاركة جزء من المادة في مثال من المثل، لذلك العالم المادي هو عالم الضلال والأشباح، وهذا مبرر خسته ودناءته (عبد الرحمان مرحبا، 2007، صفحة 131)،**وسيرون الظلال فقط من الأغراض المحمولة بطريقة مشابهة، ويفترضون أن الأشياء التي رأوها هي الأشياء الحقيقية، وستكون الحقيقة حرفيا، لا شيء سوى الظلال والصور**» (أفلاطون، محاورة الجمهورية، 1994، صفحة 320)، والمثل (أو الصور) حقائق

كلية ثابتة وجودها مفارق للعالم، وفي الوقت ذاته تعتبر مصدرا لوجود الأشياء في العالم المحسوس وعلة له (عبد الرحمان مرحبا، 2007، الصفحات 126 - 127)، في حين يرى أرسطو بأن العالم الطبيعي هو الواقع ، ولا يوجد سوى عالم حقيقي واحد وهو العالم الذي نعيش فيه غير أنه ليس بكامل، وكان في صورته الحاضرة على أتم ما يمكن أن يكون الآن، وهو في تطور صعودي نحو الكمال (فروخ، 1947، صفحة 60).

نستنتج مما سبق أن الصورة عند أفلاطون تكون خارج العالم، بينما الصورة عند أرسطو تكون داخل العالم، كما أن طبيعة الأشياء لدى أفلاطون ليست مادية، بل هي عبارة عن نسخة، فلكل شيء مثال يشبهه في عالم المثل، أما المثل لدي أرسطو فهي مجرد نسخ عن الأشياء.

ويختلف أفلاطون مع أرسطو في مسألة خلق العالم، فالأول يعتقد بأن العالم مخلوق كونه مرئيا ملموسا وله جسم، لهذا السبب كل الأشياء المحسوسة تدرك بالرأي وبالحس (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 381 - 382) ، بينما يرى الثاني بأن العالم بمادته قديم موجود منذ الأزل، كما أنه غير مخلوق، فلم يكن ثمة زمن سابق عليه، والعلل والأسباب وجميع المظاهر الطبيعية في عالمنا إنما هي ترجع إلى أسباب مادية طبيعية. (فروخ، 1947، صفحة 61)

ويعتقد أفلاطون وأرسطو معا بأن العالم واحد، متناه لأنه جسم والجسم يحده جسم بالضرورة، ويظهر في شكل كروي ومستدير، لأن هذا هو الشكل الطبيعي والمناسب له، كما أن العالم واحد، وتقابله سماء واحدة مبدعة ومخلوقة وفريدة من نوعها، (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 381 - 392) ،

لكنهما اختلفا في كيفية وجود المادة في العالم، ففي الوقت الذي يعتقد فيه أفلاطون بأن هذا العالم أوجده الصانع من الفوضى والاضطراب « **وهكذا أوجد -يقصد الصانع- أيضًا الدنيا المنظورة كلها ليست ساكنة، بل متحركة في نمط شاذ ومضطرب، فإنه أوجد النظام خارج الفوضى،** » (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 414)، ويترتب على هذا أن المادة التي صنع منها عالمنا رخوة تتحرك بلا نظام، أزلية قديمة لا أول لها، ثم وضع الصانع الصورة في المادة المضطربة القديمة التي كانت موجودة في قبل تشكيل الصانع لها، وقد منح العالم صورة الأزلية. (عبد الرحمان مرحبا، 2007، صفحة 132)، بينما أرسطو يرى أن العالم غاية في النظام فلا شيء فيه يحدث بالصدفة وبقدر ما تسمح المادة بالتشكل وبحسب الصور التي ينبغي أن تتشكل تأتي الأشياء إلى الوجود، لذلك العالم قديم بصورته ومادته، والعالم واحد ليس وراءه شيء ومركزه الأرض. (أبو ريان، 1972، صفحة 140)

2.3 العالم الأرضي:

يتشارك أفلاطون وأرسطو الآراء حول الصفات المادية للأشياء، فكل جسم يتكون من نار وتراب يربط بينهما التناسب، ومن تلك العناصر الأربعة أُبْدع جسم العالم، (عبد الرحمان مرحبا، 2007، صفحة 132)، وكما هو واضح للجميع فإن النار والتراب والهواء والماء كانت أجساما، وكل حجم بالضرورة محاطا بالسطوح (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 443)، وأن الصانع خلق جسم الكون في البدء من النار ومن التراب، ووضع عنصرا ثالث يكون رباط بينها، وبما أن كل الأشياء مادية، مرئية وملموسة، فأن العالم ينبغي أن يكون صلبا (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 383)، وبعد أن خلق العالم استحوذ على كل العناصر الأربعة جميعها. (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 416)، ويضيف أرسطو بأن هذه الموجودات منها ما هي بالطبيعة ومنها ما هي قبل أسباب

أخرى، كأصناف الحيوانات وأجزائها، وأصناف النباتات، والأجسام البسيطة مثل الأرض والماء والهواء والنار، وكلها أشياء موجودة في الطبيعة (أرسطو، الطبيعة، 1965، صفحة 78)، وركبت الأجسام بعضها فوق بعض، وهذه العناصر نفسها أربعة في العدد. (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 315 - 316)،

ويتوافق رأي أفلاطون مع أرسطو، بحيث يرى أفلاطون بشأن العناصر، فلا تكف عن الاستحالة بعضها في بعض كي تغير مكانها، وأن العناصر الأربعة كلها منخرطة في دورة الكون، وكون هذه العناصر دائرية فإنها لديها ميل لتكون معا، فتمارس نوعا من الضغط فلا تترك أي فراغ، وكل هذه التحولات للعناصر الأربعة تأخذ مجراها بالقسر أو بشكل طبيعي (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 191 - 192)، وعليه فإن كل كون هو فساد لشيء أخر وأن كل فساد هو كون لشيء أخر، لذا المادة هي علة الكون المستمر الأبدي للأشياء، (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، الصفحات 112 - 113)، حيث يقول أرسطو: «**يتم إنتاج التغيير من خلال الانتقال من الأضداد إلى الأضداد أو الوسطاء**» (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 298 - 299) ويلزم التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الأول للأشياء، (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، صفحة 168).

إن هذه الاستحالة تتواجد في الأضداد بأربعة تراكيب من جهة حار ويابس، حار ورطب، ومن جهة أخرى بارد ويابس، وبارد ورطب. وهذه نتيجة طبيعية لوجود الأجسام التي تظهر بأنها بسيطة - الماء والهواء والنار والتراب- وأن عدد هؤلاء هو على تمام التناسب. (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، صفحة 174)، وعليه فإن الهواء والنار تميل نحو الحد الأقصى، والأرض والماء يميل نحو المركز. (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، صفحة 176)، وكل هذه الأجسام يتغير بعضه إلى

بعض، لأن كون الأشياء يروح إلى الأضداد ويجيء من الأضداد، وأن كون الأجسام البسيطة يحصل بالدور، (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، الصفحات 178 - 180)،

لكن هذه العناصر متضادة فيما بينها بينما الأثير لا ضد له، وهذا التضاد أصل كل ما نراه من التحول للعناصر بعضها إلى بعض، (كرم، 2014، صفحة 179) وحسب أفلاطون فإن كل الموجودات في هذا العالم لها مثال، وللماء مثاله وهكذا فالمثال هو النموذج الحقيقي للوجود (عبد الرحمان مرحبا، 2007، الصفحات 129 - 130) وقد يظن بعضهم أن طبع المثل قد يكفي لتعبير كون الأشياء، ويفترض أن كون كل شيء هو مسمى بمثاله، وأن الأشياء تتكون متى تلقي هذا المثال وأنها تفسد متى تعدمه، لكن إذا كانت المثل هي علل فلماذا لا تكون مستمرة؟ (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، الصفحات 203 - 204) .

بما أن حركة النقلة أزلية، فإن كون الأشياء سيكون متصلا أيضا لأن هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية في كون الأشياء، لذا نعتبر النقلة هي أول التغاير، (أرسطو، الكون والفساد، د.ت، الصفحات 206 - 207) وبما أن الوجود مستمر وأبدي، فإن علة هذا الكون هي النقلة الدائرية لأنها هي وحدها التي تكون متصلة، ومنه يتبين لنا أن ثمة كائن واحد ينجو من الحركة الدورية في الكون والفساد، إنه الإله باعتباره المحرك الثابت الذي لا يتحرك، والعالم كله يسعى صوب هذا الكمال الذي لم ولن يتحقق إلا لكائن هو صورة خالصة. (النشار، فلسفة أرسطو والمدارس المتاخرة، 2006، صفحة 147)

3.3 العالم السماوي:

يبدأ أفلاطون بحثه عن الكون، فتوصل إلى أن هناك صنفين للوجود معلنا عن وجود صنف ثالث، سماه بالوعاء، وعمله احتواء كل الولادات (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 436 - 437)، ولكي نفهم دوره في عملية

تكوين العالم، يكفي أن نعرف دور الوعاء، إن كل الأشياء المحسوسة والمرئية، لا تكون لتدعي التراب، أو الهواء، أو الماء، أو النار، أو أي من تركيباتها، أو أي من العناصر التي تشتق منها هذه الأشياء، بل يكون مخلوق غير مرئي، لا شكل له يتلقى كل الأشياء ويشارك في طريقة سرية في نشوئها، وعليه يمكننا القول أن النار ذلك الجزء من طبيعته، الذي يؤجج من وقت لآخر، والماء هو الذي يرطب، وأن المادة تصبح أرضا وهواء، بقدر ما تتلقي الانطباعات منه. (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 239 - 240)

كما يعتبر أفلاطون الفضاء أهم مرحلة في عملية تكوين الكون، ومن صفاته الخلود، كما أنه يمثل بيتا لكل الأشياء المخلوقة، مما يجعل اتخاذ القرار بحقيقة شأنها أمرا صعبا، كما أنه ممسك الوجود بطريقة ما، وقد وجد قبل وجود السماء، (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 441 - 442) ، كما أن أفلاطون يميز بين نوعين من الهواء، فيسمى الجزء الأكثر صفاء منه الأثير، ويدعى النوع الأكثر كثافة سديما (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، صفحة 467) .

في حين يميز أرسطو بين نوعين من المادة، المادة السماوية وهي الجسم الخامس، والمادة الأرضية وهي مادة العناصر ، الأولى تدور في حركة دائرية والثانية تتحرك في مسلك مستقيم، لهذا السبب لا يمكن أن يظهر جديد في عالم السماوات، مما يجعل الأفلاك والكواكب باقية دائما على حالها، ولم يسبق أحد أرسطو على القول بان الأجسام السماوية مكونة من مواد تختلف عما تتكون منه الأجسام الأرضية، (تايلور، 1992، الصفحات 86 - 87) وبخصوص هذا الجسم الأولي، يقول: « **لهذا الغرض نفترض بأن هناك جسما أوليا مختلفا عن الأرض؛ النار؛ الهواء والماء، وقد أفترض القدماء اسم الأثير للمكان العالي، مستمدين هذا الاسم من الأبدية لهذا الجسم، وأرادوا فرضه للأبد**» (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, p. 20).

يستبعد أرسطو في أن يكون الجسم العلوي أرضا أو نارا أو هواء أو ماءا، إذا كانت حركته بدون انقطاع وإلى الأبد، وحسب أرسطو في حالة ما تم قبول الاستعمال المشبوه الذي يسمى العالم سماء، فإن العالم المكاني ليس هو الكتلة الأثيرية الكلية المتحركة على الاستدارة بل السطح الداخلي لهذه الكتلة، وكل ما هو ساكن ومتماس لعالم العناصر فإنه قابل للتغير والحركة إلى فوق وأسفل، ولذلك فالأرض بطبعها يكتنفها ويحيط بها الماء ويحيط الهواء بالماء، ويحيط الأثير بالهواء والسماء بالأثير والسماء بنفسها لا بشيء آخر. (أرسطو، السماع الطبيعي، 1998، صفحة 115)

ثم يكمل كلامه قائلا: « **بأن هذا الجسم الأولي ليس له تضاد، وأنه من المستحيل أن يكون للجسم المتحرك بحركة دائرية وزن أو خفة، فلا يمكن أن تكون له حركة، لا طبيعية ولا غير طبيعية، سواء باتجاه المركز أو بعيدًا عن المركز**» (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 15 - 16)، وبما أنه لا توجد أي حركة تتعارض مع الحركة الدائرية، فإن الطبيعة على ما يبدو لا تضع هذا الجسم في سلسلة الأضداد، والسبب أنه غير مخلوق ولا يفنى، كما أنه لا يخضع للتوليد والدمار، لأن هاتين الصفتين الأخيرتين هما جزء من الأضداد (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 17 - 18)،

لهذا السبب يعتبر كلا من أفلاطون وأرسطو بأن الحركة الدائرية أكمل الحركات (أبو ريان، 1972، صفحة 141)، كما اتفقا على أجزاء السماء، وتركيب الأجرام السماوية فيها وهي متجاوزة بعضها بعضًا بشكل منظم. (أفلاطون، محاورة طيماوس، 1994، الصفحات 422 - 423) ، ولما كانت حركة هذه الأجرام دائرية، فإن حركتها لا تتوقف فهي دائمة، وهذا دليل على أن أجسام هذه الموجودات ليست العناصر الأربعة بل هي مركبة من عنصر مختلف هو الأثير، (ردفين، 2005،

صفحة 107) ،وهذا ما يؤكده أرسطو، حيث يقول : « **لا يمكن للمواد التي تكون منها العالم، أن تكون بهذا الانتظام، كمثل طبيعة الجسم البدائي الذي يغلف كل شيء، فمن الواضح أن العلاقة التناسبية الموجودة بين الماء والأرض هي نفسها يجب أن تكون بين عناصر السماء،**» (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 142 - 143)، وإذا كان الجسم البدائي يغلف كل شيء، فهذا يعني أن الأثير هو مادة الأجرام السماوية ومنه تتركب الكواكب وأفلاكها.

وإذا كان الأثير المتحرك بحركة دائرية دائمة، وهو مادة الكواكب، فكيف نفسر حرارة الشمس مثلا؟ يجيب أرسطو بقوله إن الحرارة والضوء اللذين تشيعهما الكواكب يتولدان من احتكاك مادة الأثير بالهواء (حلمي مطر، 1998، صفحة 299)، وهذا الجوهر الخامس يرتبط مع المعالجة خاصة لتعريف السيمات الغير قادرة على الفساد عموما، والتي لا يمكن أن تأتي من التحولات للعناصر الأربعة. ولا يمكن أن تتحول إلى واحدة من بينهم(Duhem, 1913, p. 173) .

4. الحجج التي وظفها كل من أفلاطون وأرسطو لإثبات الأثير:

يعتمد أفلاطون على الأسطورة لإثبات الأثير معتمدا على نظرية المثل، بينما يلجأ أرسطو إلى الحجج العقلية والواقعية لإثبات وجود الأثير .

<u>الأسطورة الأولى:</u> ففي أسطورة فيدون، يستهل أفلاطون قوله بالحديث عن موضوع الأرض النقية الخالصة، ويمكن أن تكون لها أهمية فلسفية، وعلى غرار نظرية المثل فإن هذه الأرض تشبه أرضنا، ولكن على الكمال والتمام (أفلاطون، محاورات فيدون، 2001، الصفحات 102 - 104)، إن الأرض عظيمة الاتساع، وفوقها الكثير من الفجوات، وفيها يصب الماء والهواء والضباب، أما الأرض النقية الخالصة –الحقيقية- نفسها، فإنها تقع في السماء النقية، حيث توجد النجوم، وهي التي يسميها الكثيرون بالأثير، وهذه الأشياء (الماء والضباب والهواء) تجري دائما لتصب في فجوات الأرض باعتبارها رواسب للأثير، ونحن نسكن هذه

الفجوات، معقدين أننا نسكن فوق أعلى الأرض، ونسمى الهواء بالماء، ونتخيل أن النجوم تتحرك عبر السماء، ولو تمكن أحدنا من الوصول إلى قمة الهواء، لأدرك برفع رأسه وعرف أن هناك تكون السماء الحقيقية والأرض الحقيقية، فأرضنا دب فيها الفساد وتآكلت، فلا يكاد شيء يصل إلى الكمال (أفلاطون، محاورات فيدون، 2001، الصفحات 215 - 216).

ثم يكمل أفلاطون قوله على لسان سقراط موجها خطابه لسيمياس راجيا منه أن لا يستخف بأسطورته، ثم يكمل كلامه عن هذه الأرض العلوية التي تكون تحت السماء (أفلاطون، محاورة فيدون، 1994، صفحة 445)، أما المقابل للهواء عندنا فهو الأثير عندهم، وكل ما شبه ذلك، بمقدار المسافة التي تفصل بين الهواء والماء وبين الأثير والهواء من حيث النقاء، هذه هي إذن طبيعة تلك الأرض بصفه عامة وطبيعة ما حولها. (أفلاطون، محاورات فيدون، 2001، الصفحات 117 - 118)

<u>الأسطورة الثانية:</u> ذكر أفلاطون على لسان سقراط قصة بطل اسمه **إر بن أرسينيوس**، وقد ذبح في أحد المعارك، وبعد أيام من موته وجدوا جسده غير متأثر بالفساد، فحملوه لبيته ليدفنوه، بينما هو كذلك عاد إلى الحياة، حيث أخبرهم بما رأى في العالم الآخر ، وما يهمنا من هذه الأسطورة سوى الجزء المتعلق بالعالم العلوي، ثم يكمل **إر بن أرسينيوس** حديثة (أفلاطون، محاورة الجمهورية، 1994، صفحة 475)، هناك رأى أصحاب الأرض الخضراء في وسط النور ، فهو حزام السماء، والذي يوحد محيط الكون، له محور دوران وعليه تدور كل الدورات، لتصنعت فلكة المغزل، شبيها بالمغزل المستعملة على الأرض في شكلها الخارجي ، وركب بعضه داخل بعض، في شكل دائري وعلى كل مغزل ركبت أحد الأجرام السماوية، وكان لدى محور الدوران كله الحركة عينها وفي الاتجاه عينه. (أفلاطون، محاورة الجمهورية، 1994، الصفحات 477 - 478)

في كتاب **السماوات**، حاول أرسطو إثبات الحركة في العالم العلوي، ومن خلال الحجج التي عرضها، كان للأثير الدور الفعال والبارز في إثبات هذه المسألة، وفي كل حجة يلجأ أرسطو إلى وضع اسم جديد للأثير، ومن بين هذه الأسماء المادة

الغامضة، المادة الخامسة، الجسم المختلف وغيرها من الأسماء، وسنكتفي في هذا المجال بعرض حجتين فقط من هذه الحجج، وهما:

الحجة الأولى: هذه المادة الغامضة أو العنصر الخامس في مجمله له حركة دائرية، لكن يمكن لأجزائه أن يكون له نوع أخر من الحركة «**الكل والأجزاء التي يتألف منها تخضع دائما لنفس الحركة**» في هذه الحالة يترتب على هذا نتيجتين: أولها، هو أن هذا العنصر الخامس الذي له حركة دائرية لا يمكن أن يكون وزن ولا خفة، والثانية، هو أن العنصر الخامس لا يمكن أن يخضع أي جزء من أجزاءه لأي حركة أخرى غير التي يتحرك فيها هو نفسه. وهذه الحجة قوية جدا (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, pp. 16 - 17).

الحجة الثانية: إن كل حركة تكون وفقا للطبيعية أو ضد الطبيعة، وهذه الحركة التي تتعارض مع الطبيعة بالنسبة لجسم معين هي في الوقت ذاته حركة طبيعية لجسم آخر، وهذا التباين في الحركة أعلاه والحركة أدناه، لأن أحدهما للنار والآخر للأرض وضد الطبيعة وحسب الطبيعة لهذه الأجسام، لذا يجب أن تكون الحركة الدائرية والغير الطبيعية لهذه الأجسام هي حركة طبيعية **لجسم مختلف**، وهذه حجة أخرى لإثبات الوجود الضروري للعنصر الخامس، الذي يتم تحريكه بواسطة الحركة الدائرية في حين أن العناصر الأخرى لها حركة مستقيمة إما من الأسفل إلى الأعلى أو العكس. (Aristote & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, 1866, p. 12).

4. خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن النتيجة الأساسية التي نستخلصها من كل هذا البحث هو أن أفلاطون ربط مفهوم الأثير بصورة العالم الطبيعي، بينما أرسطو درس مفهوم الأثير من خلال مفهوم العالم،

- لقد تمكن أرسطو من أنزال أفكار المثل الأفلاطونية إلى مستوى الأشياء، بمعنى أن الصفات والأنواع موجودة لكن وجودها ليس إلا في الأشياء الجزئية، وعليه فالوجود الحقيقي عنده هو الشيء نفسه كما هو موجود في عالمنا، وليس كما يظن أفلاطون حينما فصل بين الشيء وصورته المثلى في العالم الأعلى.
- يمكن اعتبار مساهمات أفلاطون في العلوم مثل مساهمات كباقي علماء اليونان السابقون له، فقد كان عمله استكشافيا من حيث المفهوم أكثر من كونه قابل للتطبيق، غير أنه له إسهامات في علم الفلك وسعت في مجموعة المعرفة في ذلك الوقت، بينما أرسطو كان من بين الأوائل والعلماء الحقيقيين والذي ابتكر طريقة علمية لمراقبة الكون واستخلاص النتائج عن طريق الملاحظة حينما حاولت أطروحته الفلكية في فصل النجوم عن الشمس رغم من إيمانه بمركزية الأرض.

5. قائمة المراجع:

Aristote, & Traduit on Français par Barthélemy Saint Hilaire, J. (1866). *Le Traité du Ciel.* Paris: Librairie Philosophique de Ladrange.

Duhem, P. (1913). *Le Systéme De Monde, Histoire De Doctrnic Cosmologiques De Platon à Copernic* (Vol. Tome). Paris: Libairie Scientifique Hermann et Fils.

إحسان حقي. (د.ت). *منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس* (الإصدار 1). د.م: دار اليقضية العربية للتأليف والترجمة والنشر.

أحمد صالح الفقيه. (2016). *الميثولوجيا الشرقية* (الإصدار 2). اليمن: المؤسسة اليمنية للتمية الثقافية.

أرسطو. (1998). *السماع الطبيعي*. بيروت: إفريقيا الشرق.

أرسطو. (د.ت). *الكون والفساد*. د.م: الدار القومية للطباعة والنشر.

أفلاطون. (2001). *محاورات فيدون* (الإصدار 3). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

أفلاطون. (1994). *محاورة الجمهورية*. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

أفلاطون .(1994) .*محاورة طيماوس* .بيروت :الأهلية للنشر والتوزيع.

أفلاطون. (1994). *محاورة فيدون*. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

ألفريد إدوارد تايلور. (1992). *أرسطو*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع.

أميرة حلمي مطر. (1998). *الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكيلاتها* (الإصدار الجديد). القاهرة: دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع.

بخزعل الماجدي. (1998). *نتون سومر، الميثولوجيا، اللاهوت والطقوس* (الإصدار 1). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

روبرت ردفين. (2005). *أرسطو* (الإصدار 1). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

صامويل كريمر. (د.ت). *من ألواح سومر*. القاهرة: مكتبة متنى ومؤسسة الخاتجي.

عبد السلام زيان. (2008). *الأربانيشاد الكتاب المقدس الهندي* (الإصدار 1). القاهرة: شمس للنشر والتوزيع.

عمر فروخ. (1947). *الفلسفة اليونانية في طريقها للعرب* (الإصدار 1). بيروت: مكتبة لسان العرب.

محمد عبد الرحمان مرحبا. (2007). *من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية* (الإصدار 1). بيروت: عويدات للنشر والطباعة.

محمد علي أبو ريان. (1972). *تاريخ الفكر اللفسفي أرسطو والمادارس المتأخرة*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

مصطفي النشار. (2006). *فلسفة أرسطو والمدارس المتاخرة*. القاهرة: دار الثقافة العربية.

معدي الحسيني الحسيني. (2012). *أساطير العالم، الاساطير السومرية* (الإصدار 1). القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع.

مليكة مذكور. (2016). العوائق الابستيمولوجية التي صادفها تأسس علم الهيئة عند العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين. *مجلة الحوار الثقافي، مجلة فصلية أكاديمية محكمة ، المجلد 5* (العدد 1)، 27 - 39.

يوسف كرم. (2014). *تاريخ الفلسفة اليونانية*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.